

## «علم الفطرة وعلم الحساب»

١- أحداث تاريخية وآيات توضح الفرق بين «علم الحساب» و«علم الفطرة».

من هذه الأحداث التاريخية والآيات العديدة يتم التدبر في البعض منها:

(أ) من الأحداث:

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَبْنَؤُا كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾

[الأنبياء ٦٨ - ٦٩]

بقوانين علم الحساب فإن النار تحرق.. ولكن بأسرار علم الفطرة ومن الأمر الإلهي «كن فيكون».. فالنار لم تحرق إبراهيم (عليه السلام) بل كانت بردا وسلاما عليه.. ومع هذا الأمر الإلهي «كن» فإن النار سوف تكون، وحينئذ لاتعترف النار بمقياس أو قانون.

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَمَعَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَبَدَّدَهُ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ ﴾

[الصافات ١٣٩ - ١٤٦]

بقوانين علم الحساب فإن يونس (عليه السلام) سوف يتم قضمه ثم  
 هضمه في بطن الحوت.. ولكن بأسرار علم الفطرة ومن الأمر الإلهي  
 «كن».. كان الحوت سفينة النجاة الأخرى التي أوصلته إلى شاطئ  
 السلامة والأمان.. ومع هذا الأمر الإلهي «كن» فإن بطن الحوت سوف  
 يكون وحينئذ لا يعترف هذا البطن بمقياس أو قانون من علم الحساب..  
 ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ  
 لِي سَاجِدِينَ ﴿١٤﴾

[يوسف - ٤]

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُوفِي بِأَهْلِكُمْ  
 أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا  
 أَن نُّفَيْدُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿١٥﴾

[يوسف ٩٣ - ٩٤]

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ  
 ءَامِنِينَ ﴿٩٣﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ  
 مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّبْحِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ  
 مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ  
 الْحَكِيمُ ﴿٩٤﴾

[يوسف ٩٩ - ١٠٠]

يوسف (عليه السلام).. طفل يرى في منامه رؤيا.. فيقصها على  
 أبيه النبي يعقوب (عليه السلام).. وتمر الأحداث بما لاقاه هذا الطفل..  
 إلى أن تتحقق رؤياه بعدما يقارب العقدين أو الثلاثة من الزمان.. ويصبح  
 هذا الطفل عزيزا لمصر.. فيأمر إخوته بالذهاب واللقاء قميصه على وجه  
 أبيه ليرتد بصيرا..

وقبل أن يصل القميص.. تصل ريحُه إلى النبي يعقوب (عليه السلام).. فيُتهم ممن حوله بالضلال والتمسك بأمل غير مرجو.. وألقى القميص على وجه النبي يعقوب (عليه السلام) فارتد بصيرا.. ثم دخلوا جميعا على يوسف (عليه السلام).. فيرفع أبويه على العرش فيخروا له سجدا.. فتتحقق رؤيا الطفل بعد هذا الزمن البعيد.

بقوانين علم الحساب كيف يرى طفل حدثا في منامه.. ثم يتحقق الحدث بعد سنين طويلة تماما كما رآه هذا الطفل.

وبقوانين علم الحساب.. كيف وقبل أن يصل القميص.. تصل ريحُه إلى النبي يعقوب (عليه السلام)

وبقوانين علم الحساب.. كيف يُلقى القميص على وجه كفيف فيرتد بصره.

بقوانين علم الحساب كل ذلك لا يمكن حدوثه.. ولكن بأسرار علم الفطرة ومن الأمر الإلهي «كن».. تحققت الرؤيا ووصل ريح يوسف (عليه السلام) قبل أن يصل القميص وعاد البصر بإلقاء القميص.. دون تدخل طبي.. فمع هذا الأمر الإلهي «كن» فإن كل ذلك سوف يكون وحينئذ لا يعترف كل ذلك بمقياس أو قانون من علم الحساب.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ إِذْ أَخَفَّتْ عَلَيْهِ ۖ فَكَالِقَبِ فِي أَيْمَنِهَا وَلَا تَخَافِ ۚ وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَأَيْنَاهُ إِلَيْنَا ۖ إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ ۖ وَنَجْعَلَنَّهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

[القصص ٧]

هل تقبل قوانين علم الحساب هذا الأمر.. إن خافت أم على رضيعها فعليها أن تلقيه في اليم.. والجواب معروف وأيضا من قوانين

علم الحساب.. لاتقبل القوانين الحسابية ذلك لأن الغرق هو النتيجة..  
ولكن بأسرار علم الفطرة ومن الأمر الإلهي «كن».. سوف يرد الرضيع إلى  
أمه بعد أن نفذت أم موسى الأمر الإلهي.. وكان موسى (عليه السلام) من  
المرسلين. فكان اليم هو قارب النجاة والأمان ومع هذا الأمر الإلهي «كن»  
فإن اليم هو طريق النجاة ولا بد أن يكون ولن يعترف من علم الحساب  
بمقياس أو قانون.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا تَوَلَّىٰ عَلٰى وَادِ النَّعْمِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَتَأْتِيهَا النَّعْمُ أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا  
يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبَسَهُ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ  
أَوْعِزْنِي أِنَّا أَشْكُرُ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلٰى وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ  
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَقَدَّ الْأَطْيَرُ فَقَالَ مَا لِي لَا  
أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لِأَعْذِبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ  
أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ حُطِّ بِهِ  
وَاجْتَمَعْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِي بَقِيْنٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيْتَ مِنْ كُلِّ  
شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهُمْ وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ  
الشَّيْطٰنُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي  
يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا  
هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنُنظِّرُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾  
أَذْهَبَ يَكْتُمِي هَكَذَا فَالْقَهْلَةُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ فَانظَرَ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُو  
إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا  
عَلَىٰ وَأَتَوَفَىٰ مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ۞

[النمل ١٨ - ٣١]

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا ائْتِكُمْ يَا نَبِيَّ بَعْرِشًا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوْنِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُوْمَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيْ أَمِيْنٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيْمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

[٣٨ - ٤٠]

هل تقبل قوانين علم الحساب تلك الأحداث.. وهي عديدة في قصة تاريخية حيث:

نملة ترى جيش النبي سليمان (عليه السلام) قادما من بعد.. فتعلم تلك النملة النتيجة من المقدمة.. والنتيجة هي الهلاك بالنسبة لها ولقومها من النمل.. والمقدمة هي تلك الجنود الغفيرة التي سوف تدهس النمل الصغير تحت أقدامهم وهم لا يشعرون.

النبي سليمان (عليه السلام) يسمع قول تلك النملة ويشكر نعمة ربه. الهدهد يغيب عن الاجتماع.. ويفتقده النبي سليمان (عليه السلام) ويتوعده بالعذاب أو الذبح..

الهدهد يعود ويجلس في المكان المناسب لجلال حدث الغياب.. ثم تحدث.

﴿ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحْطُ بِهِ وَحِجَّتْكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي إِبْرَاهِيْمَ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيْمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُوْنَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّيَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيْلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُوْنَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوْا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ ﴿٢٦﴾ ﴾

[النمل ٢٢ - ٢٦]

الهدهد يقدم تقريراً إخبارياً له من أساليب البلاغة والفصاحة اللغوية.. ما جعل المستمع كأنه قد رأى ما سمعه رأى العين. فعلو درجة الفصاحة والبيان اللغوي من جانب هذا الهدهد الصغير جعل التقرير الإخباري وكأنه تقرير مصور.

ثم إن الهدهد قد وصل مع هذا التقرير الإخباري إلى لب قضية الإيمان وجوهره.. حيث وصف هذا الهدهد الصغير الله (سبحانه وتعالى) بأدق الصفات الدالة على ألوهيته (سبحانه وتعالى)...

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾

فالذي يخرج الخبأ في السموات والأرض هو وحده (الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم).. فالماء مثلاً ينزل إلى الأرض الهامدة وبها تلك الحبة الجامدة فإذا الرأى يرى تلك الأرض وقد اهتزت وربت والحبة الجامدة قد تحركت ونمت.. ذلك كله لم يكن ليحدث إلا بسر مخبوء لا يقدر على إخراجه إلا (الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم).

وعلى جانب آخر فإن الذي حدث من وصف هذا الهدهد الصغير وتقديمه لتقرير إخباري فيه ما فيه من أساليب البلاغة والفصاحة اللغوية.. ووصول هذا الهدهد إلى لب قضية الإيمان وجوهره... يجعل الباحث الذي يتخذ من التدبر والتفكر منهاجاً أصيلاً له.. يصل إلى نتيجة أن هناك رسالة أخرى خفية لا ينبغي أن تغيب عن قلب وعقل النبي سليمان (عليه السلام).

وتلك الرسالة الخفية.. لا بد لمثل قلب وعقل النبي الحكيم سليمان (عليه السلام) أن يعيها.. تلك الرسالة أوصلها له أيضاً هذا الهدهد الصغير وقد يكون هذا الهدهد غير منتبه لها.. حيث تقرر تلك الرسالة:

«أيها النبي الحكيم سليمان.. إن الله (سبحانه وتعالى) الذى أعطاك الملك والنبوة والحكمة.. لقادر أن يعطى غيرك ذلك كله.. حتى وإن كان هذا المخلوق الصغير الضعيف.. «الهدهد».. هذا المخلوق الضعيف الذى توعدته بذبح أو بعذاب شديد.

ولكن النبي الحكيم سليمان (عليه السلام) يعى ذلك ويشكر الله (سبحانه وتعالى):

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٩] [النمل - ١٩]

وبعد ذلك يأتيه عرش بلقيس من سبأ باليمن.. وهو فى بيت المقدس قبل أن يرتد إليه طرفه.

هل تقبل قوانين علم الحساب أيًا من تلك الأحداث.. والجواب معروف.. ولكن بأسرار علم الفطرة ومن الأمر الإلهى «كن».. كانت كل تلك الأحداث لابد وأن تكون ولم تعترف جميعها بمقياس أو قانون من علم الحساب.

(ب) من الآيات:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنجِبَالُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [١٠]

[سبأ - ١٠]

﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَيَتَفَتَّحُونَ ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [١٨] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٤٩]

[النحل ٤٨ - ٤٩]

﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِكُمْ فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

[النحل ٦٥ - ٦٦]

﴿ وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾

[الرعد - ١٣]

﴿ تَسِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِيحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾

[الإسراء - ٤٤]

﴿ وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

[النمل - ٨٨]

﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

[يس - ٦٥]

هل تقبل قوانين علم الحساب أيًا من تلك الآيات.. والجواب معروف..

ولكن بأسرار علم الفطرة ومن الأمر الإلهي «كن».. كان الحديد لدينا في يد النبي داود (عليه السلام).. وتسبح السموات والأرض والرعد.. كما أن كل شيء يسبح من أحياء وجماد ولكن قوانين علم الحساب لا تعلم كيفية تسبيح كل هذه الأشياء..

وقوانين علم الحساب تحسب الجبال جامدة ولا تعلم أنها تمر  
كما تمر السحاب.. وكذلك قوانين علم الحساب لاتصل إلى كيفية  
خروج اللبن السائغ لشاربيه من بين تلك الملوّثات الحسابية  
الفرث والدم. وكذلك لا تقبل القوانين الحسابية أن تتكلم الأيدي  
وتشهد الأرجل.

لا تقبل القوانين الحسابية أيّاً من تلك الآيات.. ولكن بأسرار  
علم الفطرة ومن الأمر الإلهي «كن».. كانت كل تلك الآيات لا بد وأن  
تكون وأسقطت جميعها كل مقياس أو قانون من علم الحساب.

٢- رحمة الله (سبحانه وتعالى) التي وسعت كل شيء جعلت أسراراً  
لعلم الحساب

الله (سبحانه وتعالى) قد وسعت رحمته كل شيء.. أفلا تتسع تلك  
الرحمة لهذا العلم.. «علم الحساب».. نعم لا بد وأن تتسع له وأن يكون  
له القدر الكافي من المهابة والاحترام.. وكيف لا ورسول الرحمة ﷺ  
يقول «اطلبوا العلم ولو في الصين».. أو كما قال ﷺ..

ولفظ العلم هنا وإن كان عاماً في توجيه الرسول الكريم ﷺ.. إلا أن  
الباحث الذي يتخذ من التدبر والتفكير منها أصيلاً له.. يجد أن  
الإشارة هنا في هذا التوجيه الكريم إنما تميل ناحية العلم الدنيوي أي..  
«علم الحساب».. حيث تم اختيار الصين رمزاً له فهي بعيدة عن الرموز  
الدينية أو الأماكن المقدسة.

ومن عجب أن يأتي الرسل الكرام في الفترات الأولى للحياة حيث  
لم يكن هناك من التقدم العلمي أو التكنولوجي من شيء. وحكمة الخالق  
(سبحانه وتعالى) من ذلك.. أن البشر حينذاك لديهم من الصفاء الذهني

والنفسى ما يدعوهم إلى التصديق بتلك الرسل وما يأتون به من آيات وبراهين على صدق رسالاتهم.

وهذا يفسر للباحثين سر اختيار بعض الأماكن دون الأخرى لتكون مهبطا للرسالات السماوية إلى الأرض. مثلا كانت جزيرة العرب مهبطا لرسالة الإسلام وكانت حينذاك دولتان عظيميان فى الحضارة وهما دولتا الفرس والروم. فكان اختيار جزيرة العرب حيث الصفاء والبعد عن تلويين تلك الحضارات للسلوك البشرى.

أى إن الحضارات تقلل من درجة الصفاء الروحى لما بها من مباحج وزخارف الحياة التى تشغل النفس عن هذا الهدوء وذاك الصفاء.

ومن حكمة الله (سبحانه وتعالى) البالغة أنه أتى بالرسل الكرام فى تلك الفترات الأولى من الحياة البشرية حيث تلك الدرجة العالية من النقاء والصفاء الروحى والنفسى.

وحدث مع تلك الرسل الكرام ما حدث من المعجزات الخارقة والآيات البينات التى تدل على صدق رسالاتهم. وكانت نوعا من التثبيت والتصديق من جانب البعض وكذلك كانت نوعا من السحر والخيال من جانب البعض الآخر.

ومرت القرون والأعوام ويزداد بنو آدم من التجارب والخبرات على هذه الأرض وتلك التجارب والخبرات إنما كانت تمثل الركيزة والأساس لما يعرف اليوم بالتقدم العلمى. وكان هذا التقدم العلمى يسير ببطء.

وأسهم العلماء من كل مكان فى إحراز المزيد ومن هؤلاء العلماء العالم الرياضى إسحاق نيوتن (عالم إنجليزى ١٦٤٢ - ١٧٢٧) الذى وضع أسس قوانين علم الحركة وحساب التفاضل والتكامل.. وتعتبر

تلك القوانين وعلم التفاضل والتكامل هي الأساس الجذرى للمخترعات والتقدم التكنولوجى الحالى.

ومن هذا المنظور لابد أن ينتبه الباحث تدبرا وتفكرا فى تلك اللمحات السريعة والعبارة التى تظهر أن الله (سبحانه وتعالى) قد وسع برحمته هذا العلم.. «علم الحساب».. وقد منحه (سبحانه وتعالى) من الكرامة والاحترام حيث جعله (سبحانه وتعالى) يبرهن أحيانا على أسرار وآيات.. «علم الفطرة».. كما يُرى فى الومضات واللمحات السريعة التالية.

أسرار «علم الحساب» تبرهن على آيات «علم الفطرة»  
«لا وقت عندى.. ثوان وأفعل كذا.. أعد تقريرا مهماً.. نحضر اليوم  
الجلسة الافتتاحية».

تلك كلمات العصر الحالية.. لاوقت كذلك للراحة النفسية وما يستتبعها من الصفاء الروحى.. فحينما تزداد أدوات الراحة والرفاهية تقل معها أدوات النفس وملكاتهما الروحية.. فتقل حتى المواهب الفنية لقلة تلك الملكات الروحية.

هنا تخبو أنوار الروح وصفائها.. وتظهر أثقال المادة وغوغائها.. فتتضائل الرؤيا الروحية وتتعاظم الرؤيا البصرية حينئذ تأتى كرامة «علم الحساب» ليشد من عضد أستاذه ومعلمه «علم الفطرة» فطالما أعطى ومازال.. ويصون «علم الحساب» جميل أستاذه ومعلمه.. قائلا أنا أكفيك يا أستاذى العظيم هؤلاء.. فدعنى يا أستاذى أساعدك فطالما مددت يد العون لى.. فهأنذا أستطيع الآن أن أقدم لك شيئا من عظيم فضلك على ولتنظر معى يا أستاذى العظيم ما فعلته من أجلك.

## الفاروق عمر

وهو بالمدينة المنورة يرى.. فينادى على مرأى ومسمع ممن حوله  
«يا سارية الجبل».. سارية يرى ويسمع ويلبى نداء الفاروق عمر  
(رضى الله عنه).

فى الماضى البعيد يا أستاذى العظيم كنت صغيراً ولم أستطع أن  
أناصرك.. أما الآن فهأنذا قد كبرت وهاأنذا أفعل:

«التليفون المحمول فى يد الجميع».. ما هذا؟.. هذا شعار حديث  
يا أستاذى العظيم.. بهذا الجهاز التكنولوجى الحديث.. يستطيع كل  
واحد أن يتحدث إلى الآخر مهما كان.. مكانه.

«يتحدث إلينا الآن عبر الأقمار الاصطناعية».. وما هذا؟.. يا أستاذى  
العظيم هذا ما يحدث الآن حيث يتحدث ويتحاور البعض مع البعض  
الآخر بصوتهم وصورهم فى الحال مهما كانت المسافات التى تفصل  
بينهم من الكرة الأرضية.

وينتبه الأستاذ العظيم ثم يحمد الله (سبحانه وتعالى) قائلاً فى غبطة  
وسرور.. «معنى هذا أن رؤية الفاروق ونداءه لسارية ورؤية سارية للفاروق  
وتجاوبه فى الحال أصبح قريباً الآن لهؤلاء المنكرين من قبل.. حمداً لله  
على ذلك.

الذى عنده علم من الكتاب ﴿أَنْأَأَإِيكَبِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّإِيكَ طَرْفَكَ﴾<sup>(١)</sup>  
أنا الآن فى كاليفورنيا.. سوف أرسل لك الموضوع بالفاكس على  
مكتبك بالقاهرة... ما هذا أيضاً؟.. هذا يا أستاذى العظيم.. جهاز  
تكنولوجى حديث.. يمكن من خلاله إرسال الخطابات المتبادلة فى

(١) سورة النمل الآية ٤٠.

أقصر مدة زمنية ممكنة لا تزيد على دقائق مهما كانت المسافات التي تفصل بين المكانين على الكرة الأرضية.

ويزداد الأستاذ العظيم سرورا ثم يحمد الله (سبحانه وتعالى) قائلا في غبطة وسعادة.. «معنى هذا أن الذى عنده علم من الكتاب حينما أتى بعرش بلقيس من سبأ إلى مكان النبی سليمان بن داود فى بيت المقدس فى الحال وقبل أن یرتد إليه طرفه.. هذا الفعل أصبح قريبا الآن لهؤلاء المنكرين من قبل.. حمدا لله على ذلك.

ثم يستطرد التلميذ النجيب.. «علم الحساب».. حينما وجد أستاذه العظيم «علم الفطرة» سعيدا بإنجازاته العلمية واختراعاته العجيبة.. استطرد التلميذ.. فخورا بجهده ونصبه حتى تحقق له ما تحقق من معجزات مادية قربت للعقول والأبصار تلك المعجزات الروحية.. استطرد التلميذ قائلا أظن يا أستاذى أن هذا فقط الذى أطلعتك عليه..

ويعجب الأستاذ من تلميذه متسائلا وهل هناك من عجائب علمية أخرى لم تطلعنى عليها.. فيرد التلميذ على أستاذه فى فخر واعتزاز.. نعم يا أستاذى العظيم هناك الكثير والعديد من تلك المخترعات والتي جعلت من بنى آدم مهيمنا مسيطرا على هذه الأرض..

حيث يسير ويطير عليها وفى أجوائها.. فهنا الآن السيارات والطائرات وسفن الفضاء والأجهزة المسموعة والمرئية وما لا يعد من الأجهزة العلمية وكل هذا لتتحقق خلافة بنى آدم على الأرض كما أراد له الله (سبحانه وتعالى).

وينتبه التلميذ وإذا بأستاذه العظيم عيناه تذرفان دمعا وهو يردد  
سبحان ربي العظيم الذي قال وقوله الحق:

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾

[الأنبياء - ٣٧]



## قضية الصراع بين الخير والشر

إن قضية الصراع بين الخير والشر قضية تستحق منا البحث والتحليل والوقوف على ماهيتها وأسبابها ونتائجها التي تؤثر في حياتنا بصفة عامة. والباحث سرعان ما يبدأ بحثه وتحليله من خلال توجيه رسوله الكريم في قوله (صلى الله عليه وسلم): «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتي».

ومن هنا لابد للباحث الذي يريد أن يقف على سبب قاطع وجازم لهذه القضية أن يبدأ منهج بحثه بالاستناد إلى ماورد في كتاب الله وفي سنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) ولكن كيف يبدأ ومن أين؟. والإجابة عن هذين السؤالين قد تبدو ثقيلة وعسيرة على من لم يتعود البحث والتدقيق والتدبر والتأمل وكل هذه الصفات التي قد تبدو بالغة التعقيد فإن كتاب الله (سبحانه وتعالى) وسنة رسوله الكريم ﷺ دائماً ما يحثان عليهما المؤمن بصفة عامة والمسلم بصفة خاصة حيث يوجه شرعنا الحكيم بنى آدم إلى التدبر والتذكر والسير في الأرض والوقوف على ماوصلت إليه الأمم السابقة من سلوك أدى بها إما إلى النجاة والعيش الكريم وإما إلى الهلاك والظنك في الحياة حسبما كان هذا السلوك من الخير أو من الشر.

فالباحث المتدبر حينما يبدأ رحلة بحثه عن سبب حاسم وواضح للصراع الذي ينشأ بين قوى الخير وقوى الشر فلا بد أن يهديه بحثه

وتدقيقه إلى البحث أولاً عن الأصل الذى تنشأ منه ألوان من الشر كما تنشأ منه أيضاً ألوان من الخير فى أحوال أخرى.

فإذا وصل الباحث إلى هذا الأصل كان من اليسير عليه التعرف إلى هذا الأصل أو المنشأ أو المنبع الذى يخرج منه إما الشر وإما الخير وبخبرة الباحث المدقق الذى يسير وفق منهج الله (سبحانه وتعالى) وسنة نبيه الكريم ﷺ فإنه يعرف أن لزاماً عليه أن يتعمق بالبحث والتحليل حول هذا الأصل حتى يتعرف إليه ويبصر فى داخل أعماقه حينئذ يتعرف من هذا الإبحار إلى الجوانب والخصائص التى يختص بها هذا الأصل ومن ثم يمكن الوصول إلى ماهية هذا الصراع وكيف ينشأ من هذا الأصل أو المنبع.

وحياتنا الإيمانية مليئة بهذه النخبة من الباحثين المدققين ومنهم نبي الله الخليل إبراهيم (عليه السلام) الذى كان يبحث ويدقق فى ملكوت السموات والأرض ليهتدى إلى رب هذا الكون ليكون ربه المختار على هدى واطمئنان..

فكان نبي الله الخليل إبراهيم (عليه السلام) يتدبر ويتأمل النجوم والكواكب ليهتدى إلى ربه وبعد هذا الاجتهاد وهذا البحث المضى والتدقيق هداه الله سبحانه وتعالى فأسلم وجهه لله رب العالمين.

﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥)

[الأنعام - ٧٥]

ومن هنا يتعلم الباحث المؤمن أن البحث والتدقيق ليس طريقاً سهلاً هيناً إلا على من جد واجتهد فى بحثه وتدقيقه فهذا سوف

يهديه الله رب العالمين إلى غايته وفقاً لسعيه وإخلاصه فيما يبحث عنه ويدقق فيه .

وفي قضيتنا التي بين أيدينا قضية الصراع بين الخير والشر... حينما يجتهد الباحث ويدقق ليصل إلى بداية طريق البحث ليهتدى إلى سواء السبيل وإلى طريق الوصول إلى الهدف وبلوغ المراد من بحثه وتدقيقه فإن الله سبحانه وتعالى يتفضل على المجتهد الذي يسعى ويأخذ بالأسباب فيمن عليه بالومضة الأولى ليبدأ منها رحلته للبحث عن أصل ومنشأ هذا الخير أو هذا الشر.

وهذه الومضة كأمينة كجوهرة نفيسة في صندوق ثمين. فهذه الجوهرة الكامنة هي «القلب»... وهذا الصندوق الثمين هو حديث رسول الله ﷺ الذي يحوى هذه الجوهرة حيث أخبرنا رسولنا الكريم ﷺ في حديثه الشريف:

«ألا إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» .. صدق رسول الله ﷺ.

إذا فإن الباحث المدقق سرعان ما يصل إلى بداية الطريق الصحيح حينما يجد في هذا الحديث النبوي الشريف أن القلب هو وعاء للصلاح كما أنه وعاء للفساد وبين الصلاح والفساد تكون حالة الجسد التي هي حالة بنى آدم في هذه الحياة.

وحيث إن الباحث بفضل من الله وتوفيقه قد وجد أول الطريق الموصل إلى الهدف المطلوب وهو معرفة سبب الصراع بين الخير والشر من حيث إنه سبب جازم وقاطع وهذا بالنسبة للمسلم الباحث المدقق.

أما غير المسلم الذي لا يستند في بحثه إلى شرع الله (سبحانه وتعالى)

أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسوف يظل في تيه وبعد عن هذا السبب بل إنه يضل مع الأسباب والتفاصيل إلى يصعب عليه حصرها. ومن هنا وجب على المسلم الباحث المدقق أن يبدأ الطريق من هذه المضغة التي يصلح الجسد بصلاحها ويفسد بفسادها ألا وهي «القلب» مصداقاً لحديث رسولنا الكريم ﷺ.. فميا بنا نبداً رحلتنا المباركة من أول الطريق مع الأصل.. مع المنشأ.. مع المنبع للخير أو للشر هيا بنا إلى «القلب».. نتعرف إليه ونحاول أن نقترّب منه لنعرف أثره وخطره لعلنا نستطيع أن نجيب عن هذه التساؤلات:

- كيف ينشأ الصراع بين الخير والشر؟
- ما أثر نتائج هذا الصراع على الحياة عامة؟



## «نشأة الصراع» بين الخير والشر

استنادا إلى ما ورد في كتاب الله وفي أحاديث رسول الله ﷺ وما تمت الإشارة إليه فيما سبق فإن الباحث المتدبر يستطيع أن يصل إلى نتيجة هامة وهي أن منشأ هذا الصراع هو:

«العقل».. لماذا..؟

لأن «العقل» هو الذى يستكشف من «القلب» العلم والحقيقة المترتبة على هذا العلم... كما أن الباحث المتدبر.. يجد أن «سبب النشأة» لهذا «الصراع».. إنما هو المكان الذى يستكشف فيه العقل العلم والحقائق المترتبة على هذا العلم.

وهذا المكان إنما هو ما أورده كتاب الله (سبحانه وتعالى)... وأحاديث رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.. ألا وهو.. «القلب»..

..ومن هنا يصل الباحث إلى هذه «الحقيقة»:

المنشأ والمنبع.. لهذا «الصراع».. هو.. «العقل»..

السبب والعلة... لنشأة هذا «الصراع».. هو.. «القلب»..

فالمكان هنا.. «القلب»... هو «سبب وعلة».. نشأة هذا الصراع.. تلك النشأة التى خرجت ونبتت من.. «العقل».. الذى جاء إلى هذا المكان.. القلب.. مستكشفاً وباحثاً.

ويستطيع الباحث أن يقرب هذه الإشكالية كما يأتى:

«منشأ الصراع وأصله من «العقل» حينما يذهب إلى مكان «القلب»  
ليستكشف ماعليه ومافيه من علم فعلى قدر حال المكان يكون حال  
الاستكشاف والوصول إلى النتيجة وإلى الحقيقة المترتبة عليها.  
وبعد هذا الإيجاز يستطيع الباحث أن يصل إلى الشرح والإيضاح.



## «فهم لقضية الصراع» بين الخير والشر

إن الباحث المتأمل الذي يريد أن يجد فهما واضحا لقضية الصراع بين الخير والشر فإنه سوف يجد أن بداية هذا الصراع تبدأ من العقل.. متى؟.. حينما يذهب في رحلة استكشاف في مكان القلب.

فالعقل حينما يستكشف في مكان القلب فإن هذا الاستكشاف يتوقف على حال المكان وطبيعته.. وفي إطار عام حول تلك الطبيعة فإنها كلما كانت سهلة وصافية وميسرة، كان الاستكشاف فيها أيسر وأعمق ويأتي بالغرض منه.

أما وعورة هذه الطبيعة من عدم صفاء أو ظلمة فإن الاستكشاف يكون صعبا ولاياتى بالغرض المرجو. ولهذا فإن الباحث المتدبر يستطيع أن يصل إلى جوهر القضية.

فمبذا الجوهر أو هذا المحور لهذه القضية إنما هو «القلب» - فحال القلب هو الذى يساعد وتتمركز حوله تلك القضية التى يستعر فيها هذا الصراع بين الخير والشر.. واستنادا إلى ما ورد فى كتاب الله سبحانه وتعالى نجد أن القلب على حالتين:

حالة السلامة: ﴿لَا مَنَ أَعَى اللَّهُ قَلْبَ سَلِيمٍ﴾ (٨٩) .. [الشعراء - ٨٩].

حالة المرض: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿كَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا﴾ (١٠) [البقرة - ١٠]

فالقلب إذًا على حالتين لا ثالث لهما.. حالة السلامة.. فهذا هو «القلب السليم».. وحالة المرض وهذا هو «القلب المريض». والباحث المدقق يحاول أن يوضح كيف تؤثر «حالة القلب» في صحة الاستكشاف من جانب «العقل».

ومن هنا يرى الباحثون من أهل العلم وتوضيحا لهذه الإشكالية الفكرية وهي أن حالة القلب من السلامة أو المرض هي بمثابة حالة «طريق الوصول».

فحالة القلب السليم هي بمثابة طريق سهل ممهد للوصول.. وحالة القلب المريض هي بمثابة طريق وعر وغير ممهد للوصول.. ويستطيع الباحث أن يتعمق أكثر في توضيح هذه الإشكالية الفكرية التي تمثلها حالة القلب وهذا التوضيح يكون سهلا وجليا حينما نعلم أن القلب ممكن تشبيهه بغرفة.

هذه الغرفة حينما تكون مضيئة من حولها ومن داخلها فإن القادم إليها يرى ما حولها كما يرى ما بداخلها. أما إذا كانت الإضاءة من حولها فقط فإن القادم إليها يرى ما حولها فقط.

أما إذا دخل إليها فإن ظلمتها الداخلية تحجب عنه ما بها من أشياء... ومن هذا التصور يمكن للباحث أن يقترب أكثر إلى حالة الوضوح، حيث يتبين أنه في حالة سلامة القلب فإن الاستكشاف يكون سهلا من الخارج وسهلا من الداخل.

أما حالة مرض القلب فإن الاستكشاف إن كان سهلا من حول الغرفة، فإنه يكون صعبا أو مستحيلا في داخلها لشدة الظلمة في الداخل.

ومن هذا التصور فإن «علم الحساب» أو «علم السطح»... الذى هو القسم الأول من العلم الإلهى والذى شئت حكمة الله (سبحانه وتعالى) أن يجعله فى مكان سطحي من القلب يسهل استكشافه من العقل دون أن يتأثر هذا الاستكشاف من «جانب العقل» بحالة القلب حتى ولو كان القلب مريضاً أو «كغرفة مظلمة»... لأن هذا العلم جعله الله (سبحانه وتعالى) فى مكان سطحي من القلب فلا يتأثر استكشافه من العقل بظلمة القلب.

وكما سبقت الإشارة إلى ذلك فإن هذا العلم.. «علم الحساب».. هو أساس العلم الدنيوى الذى به تنمو ألوان المعارف المختلفة.. وهذه المعارف لها من الزيادة المستمرة والإتساع مادامت الحياة على وجه الأرض.. حتى تتحقق إرادة الله (سبحانه وتعالى) فى خلافة بنى آدم عليها.. فتعمر الأرض بهذا العلم من جانب بنى آدم.. ومع اتساع دائرة المعرفة تستمر حركة العمران والتقدم والسيطرة لبنى آدم على هذه الأرض.

وهذا ما يراه الآن كل إنسان يعيش على هذه الأرض.. حيث يرى تطور العلم وتطور الابتكارات والاختراعات التى ذلت صعوبة الحياة على الأرض.. فكانت تلك المعارف التى تولدت معها تلك الابتكارات والاختراعات بمثابة طريق الانتقال من الحياة البدائية.. التى يجد معها بنو آدم الصعوبة فى التعامل مع البيئة المحيطة بهم.. إلى حياة تتقدم بألوان المعارف وكلما زادت تلك المعارف زاد التقدم وزاد معه التيسير فى الحياة على النحو الذى يُرى الآن وأكثر وأكثر إلى أن تقوم الساعة.

من هنا كانت حكمة الله (سبحانه وتعالى) البالغة أن يجعل «علم الحساب» فى مكان سطحي من القلب لأن الله (سبحانه وتعالى)

يريد لهذه الأرض الإعمار وأن يخلفه بنو آدم عليها سواء كانت هذه الخلافة لمؤمن أو غير مؤمن.

ومن هنا اتضحت حكمة الله أن يكون «علم الحساب» على سطح القلب حتى يرى هذا العلم المؤمن وغير المؤمن فيتم تحصيله وترقيته بأيهما كل حسب همته ومقدرته في طلب العلم واستيعابه.

أما «علم الفطرة» أو «علم الأساس».. والذي يمثل الشق الثاني من العلم الإلهي الذي أودعه الله (سبحانه وتعالى) قلب بنى آدم فإنه يختلف عن علم السطح لأن الله (سبحانه وتعالى) قد أودعه في «داخل القلب». وعلى هذه الحال فإن «استكشاف العقل لهذا العلم مرهون بحالة القلب».

فإن كان القلب سليماً كان كغرفة مضيئة، فحينما يستكشف العقل ما بداخلها فإنه يرى من خلال إضاءتها ما بها في سهولة ويسر. فيستطيع العقل في حالة القلب السليم أن يستكشف ما به من أساسيات علم الفطرة التي تساعد العقل على الوصول إلى آيات الله وقدرته فيهدى العقل من خلال هذا الاستكشاف إلى أن الله هو الخالق وهو ربه المستحق للعبادة والشكر.

أما في حالة القلب المريض.. فإن هذا القلب.. في هذه الحالة يكون بمثابة غرفة مظلمة حينما يدخلها الداخل لا يرى فيها شيئاً مما بداخلها.. فيخرج منها كما دخل إليها.. دون فائدة ودون معرفة بما في داخلها. ومن هذا التصور يعلم الباحث المدقق أن العقل حينما يستكشف ما في القلب «غير السليم» أو «القلب المريض» فإنه قد يرى ما على

سطحه أو ما حوله فيستطيع أن يستكشف علم السطح فى هذه الحالة..  
ودون عناء أو دون تأثير من حالة القلب.. أما ما بداخل القلب فلا  
يستطيع العقل أن يستكشفه لظلمة هذا القلب.. ولذلك لا يستطيع أن  
يهتدى من «أسس وجذور علم الفطرة» من شىء.

### الاقتراب من فهم القضية

يحاول الباحثون أن يقتربوا من الفهم لطبيعة الصراع الدائم والمستمر  
مع حركة هذه الحياة بين الخير والشر.

وحينما يشحذون أنفسهم ويسعون فى طريق الفهم فإن الله  
(سبحانه وتعالى) يساعد هذا الصنف من الباحثين المجتهدين حينما  
يلهمهم ويهديهم إلى البداية... وهذه البداية لم تكن إلا رحمة من الله  
(سبحانه وتعالى) ليبصر البشرية أن هذا صراع كائن مادامت الحياة على  
وجه الأرض ومادامت إرادة الله أن يكون آدم وبنوه خلفاء له (سبحانه  
وتعالى) على هذه الأرض.

هذه الرحمة.. رحمة الله (سبحانه وتعالى) التى وسعت كل شىء ومن  
أجلها وبسرّها جعلت من بداية خلق آدم هى بداية هذا الصراع لكى يبدأ  
آدم حياته على الأرض عالما به وملما بجوانبه ليسير على هدى وحذر من  
هذا الصراع ونتائجه المترتبة عليه.

فما أن خلق الله «سبحانه وتعالى» آدم وسواه بشرا ونفخ فيه من  
روحه - حتى أمر «سبحانه وتعالى» الملائكة أن يسجدوا لآدم.

فماذا حدث؟

سجد الملائكة كلهم جميعا إلا إبليس أبى واستكبر.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

[البقرة - ٣٠]

ومن هذه اللحظة التي أبقى فيها إبليس واستكبر أن يسجد لآدم ظهرت قضية الصراع بين الخير والشر. فالصراع بين الخير والشر بدأ حينما تعارضت الحسابات الخاصة مع أمر الله (سبحانه وتعالى) فكانت مبررات إبليس التي هي «حساباته الخاصة».. والتي أبعدته عن طاعة الله (سبحانه وتعالى).. ويصور لنا القرآن الكريم جوانب من تلك الحسابات الخاصة بإبليس كما وردت في الآيات التالية:

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾

[الأعراف ١٢ - ١٦]

ومن هنا يدرك الباحث المدقق أن الصراع بين الخير والشر يبدأ عند منطقة الاختلاف والتعارض بين قوانين «علم الحساب»... التي تمثل وتحقق في مضمونها حسابات تحقق المصلحة الخاصة.. وبين قوانين «علم الفطرة»... التي توجب في مجملها طاعة الله (سبحانه وتعالى) حيث أمر، وعدم معصيته حيث نهى (سبحانه وتعالى) وذلك في جميع الأحوال. ومن هنا اقتضت رحمة الله «سبحانه وتعالى».. التي وسعت كل شيء.. أن يجرى تجربة عملية أمام آدم ليبين له هذا الصراع ويبصره بنتائجه.

ومن هذه التجربة أعلم الله (سبحانه وتعالى) آدم أن إبليس «عدو له ولذريته» من بعده.. فيجب عليه ألا يتبع خطوات إبليس ووساوسه حتى لا يضل في هذه الحياة ويخرج من حيز الطاعة والإيمان إلى حيز الكفر والعصيان.

وهذه التجربة العملية من الله (سبحانه وتعالى) إنما تمثل الرحمة بآدم وبنيه من بعده.. لأنه (سبحانه وتعالى) قد عَلَّمَ آدم من خلال هذه التجربة العملية.. أن طاعة الله واجبة في جميع الأحوال حتى وإن لم يدرك الفكر أو العقل حكمة الله (سبحانه وتعالى) في حينها.

ولكن رحمة الله الواسعة اقتضت معها حكمة الله (سبحانه وتعالى) ألا تكون هذه التجربة العملية هي الأولى والأخيرة ولكنه (سبحانه وتعالى).. أجراها مرارا.. ولكن في تلك المرات أجراها (سبحانه وتعالى) على قلوب الأصفياء من خلقه من النبيين والصديقين الذين أنعم الله عليهم بالاصطفاء.

وجميع هؤلاء الأصفياء من النبيين والصديقين ممن أنعم الله عليهم.. قد أطاعوا الله (سبحانه وتعالى) فيما أمرهم حتى وإن لم يدركوا حكمة الله (سبحانه وتعالى) في حينها أو يفهموا لما هذا الأمر؟.. أو يستعجبوا منه ولكن جميعهم أطاع الله فيما أمر.

ومن هؤلاء الأصفياء.. يأتي إبراهيم الخليل (عليه الصلاة والسلام) مطيعا مستسلما لأمر ربه حينما يأمره أن يترك زوجته هاجر وابنه إسماعيل (عليهم جميعا السلام) في جوف صحراء جرداء لازرع بها ولا ماء.. فكيف هذا؟؟؟

إنه بالفكر المألوف... فإن الزوجة والطفل سوف يهلكان لامحاله..  
ولكن الله أمر فيطيع الخليل (عليه السلام) بل إن زوجته الصالحة لم تزد  
بعد أن علمت منه إن هذا الأمر من الله (سبحانه وتعالى).. أن قالت «لن  
يضيعنا».. فالخليل إبراهيم «عليه السلام» أطاع الله.. حتى وإن خالف أمر  
الله ما يستسيغه العقل أو الفكر. وكذلك حينما أمره الله (سبحانه وتعالى)  
بعد ذلك أن يذبح ابنه فما كان منه إلا الطاعة والامتثال للأمر.  
وكذلك يجد الباحث المدقق في قصة موسى «عليه السلام» حيث  
يوحى الله (سبحانه وتعالى) إلى أمه:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا  
تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

[القصص - ٧]

فكيف إذا خافت أم على رضيعها أن تلقيه في اليم... إن هذا  
مخالف تماما للفكر المنطقي أو العقلي.

وهكذا..... إذا ما هو جوهر القضية ولبها..؟

مما سبق من سياق فكري واستعراض لآيات الله البيّنات وأحداث  
من بداية أن خلق الله آدم وسواه بشراً ونفخ فيه من روحه... ثم هبوطه  
هو وزوجه من الجنة ليبدأ رحلته على الأرض مع عدو له هو إبليس..  
ثم تتابع أحداث التاريخ وما تبعها من معجزات وأوامر ونواهي من الله  
(سبحانه وتعالى) إلى خلقه عن طريق رسله وأنبيائه... من هذه الأحداث  
ماذا يجد الباحث المدقق:

الباحث يجد أن لب القضية.. «قضية الصراع بين الخير والشر»...  
بـهو: صراع بين... «قلب مريض»..... و«قلب سليم».

هذا هو لب القضية وقلبها... فمن الاستقراء والقياس والمناظرة لما مر على البشرية من أحداث الخلق وعداء إبليس لآدم وبنيه... ثم إرسال الله (سبحانه وتعالى) أنبيائه.. مبشرين ومنذرين.. ومايستتبع تلك الرسالات من التزام بمنهج يريده الله (سبحانه وتعالى) لخلقه وعباده.. لصالحهم وخيرهم.. ثم تعارض هذا الالتزام بمنهج الله (سبحانه وتعالى)... مع هؤلاء ممن يرون في هذا الالتزام إعاقة لحساباتهم التي تمثل مصالحهم الخاصة بهم.

ومن هنا وعند هذا الحد... يظهر الفريقان... فريق يتبع المنهج بطاعة واستسلام وقناعة بخيره... وفريق معارض لهذا الاتباع... بعصيان ونكران وقناعة بشره.

والباحث المتدبر يستطيع أن يصل أيضا إلى لب القضية وقلبها من دائرة أوسع ولكن مركزها هو «حالة القلب».. من المرض أو السلامة.. فهذه الدائرة الأوسع يرى الباحث فيها أن لب قضية الصراع بين الخير والشر إنما هو:

حالة اختلاف.. «بين أفق محدود قد تحدد بحسابات محددة... وبين أفق غير محدود لم تحده تلك الحسابات».

والأفق المحدود هنا إنما يمثله هذا القلب... «غير السليم».. أو «المريض».

لأن هذا القلب غير السليم... وكما سبقت الإشارة إلى ذلك.. إنما هو كغرفة مظلمة فإن رأى القادم إليها ما حولها أو ما على سطحها فإنه حينما يدخلها لا يرى من داخلها شيئا.. وكما سبقت الإشارة إلى ذلك فإن القادم إلى الغرفة في هذه الحالة هو «العقل» الذي يقدم إلى الغرفة التي هي «القلب» لكي يستكشف ما بها.

فالعقل.. فى حالة القلب غير السليم.. حينما يذهب إلى القلب ليستكشف ما به من علم قد أودعه الله (سبحانه وتعالى) إياه - فإنه فى هذه الحالة يرى من حول القلب أو ما على سطحه فقط.. لأن هذه السطحية جعلت قدرا من الإضاءة يستطيع معها المستكشف أن يرى ما يريد أن يراه. أما ما بداخل القلب «هذه الغرفة المظلمة» فإن العقل لا يستطيع أن يستكشفه ليعلم ما به. ومن هنا يكون السبب فى الإعراض أو الرفض.

والتجربه الأولى مع بداية خلق آدم والتي أجراها الله (سبحانه وتعالى)... رحمة بآدم وبنيه من بعده إنما هى لتوضيح هذه القضية من أول لحظة بعد خلق آدم وتسويته بشرا والنفخ فيه من روح الله (سبحانه وتعالى).

فإن إبليس من خلق الله الذين يحملون هذا القلب غير السليم.. «القلب المريض».. فهذا القلب قد حجب عن إبليس فطرة الله (سبحانه وتعالى) التى فطر الخلق عليها والتى أودعها فى داخل المخلوق لتعلمه أن الله (سبحانه وتعالى) هو خالقه وبارؤوه ومصوره..

فالمخلوق إنما هو عبد لله (سبحانه وتعالى).. ولكن هذه العبودية تختلف حتى عن عبودية العبد للسيد التى جرت وأتبعّت فى هذه الحياة - لأن السيد إنما هو عبد أيضا ولكنه جعل من نفسه سيذا كذبا وافتراء لأنه لا يملك لعبده ولا لنفسه أيضا نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا.

أما الله (سبحانه وتعالى) فهو السيد الحق فهو الله «الرب» الواحد المتفرد بالسيادة والألوهية لأنه هو الخالق.. أما غيره فلا يخلق.. وهو الرازق أما غيره فلا يرزق.. إلى غير ذلك من صفات الكمال المطلق والقدرة

المطلقة التي أثمرها بين الكاف والنون.. فبأمر «كن» فإن الشيء يكون بقدرته (سبحانه وتعالى).

فهذه الفطرة.. فطرة لله (سبحانه وتعالى).. تجعل من المخلوق عبدا مطلقا لا نقص في عبوديته لأن سيده الله (سبحانه وتعالى) إنما هو حالة خاصة ومتفردة.. ليس كمثله شيء (سبحانه وتعالى).. فحالته «سبحانه وتعالى» تجعله «سيدا مطلقا» لأن قدرته وهيمنته على عبده مطلقة.. ومن هنا فالله (سبحانه وتعالى) له السيادة المطلقة فهي إذا لا بد معها أن تكون العبودية مطلقة.

فلا يملك العبد.. مع هذه الفطرة الإلهية.. لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة.. فكيف تكون هناك منطقة للعصيان من جانب هذا العبد «مطلق العبودية».. «مع هذا السيد».. مطلق القدرة والألوهية (سبحانه وتعالى) فهو مطلق السيادة.. فهذا إبليس أراد الله (سبحانه وتعالى) أن يجعله مثلا أمام آدم من أول لحظة من خلقه وليكون هذا المثال لأخذ الحيطه والحذر لبني آدم من بعده.

لذلك.. فإن إبليس يمثل في هذه الحالة... من يحمل هذا القلب غير السليم.. وظلمة هذا القلب حجبت الرؤيا لما بداخله من «فطرة» الله (سبحانه وتعالى).. التي توجب في مجملها طاعته المطلقة.. دون قيد أو شرط.. ولم يجد عقل إبليس أمامه سوى حساباته الخاصة به التي رجحت نفسه على نفس آدم وفقا للمبررات التي برر بها عصيانه لأمر الله (سبحانه وتعالى).. فخرج بهذا العصيان من حيز الإيمان حيث كان يعد مع الملائكة حينما كان يطيع الله ويسبحه مثلهم. إلى حيز الكفر والعصيان حينما امتنع عن تنفيذ أمر الله (سبحانه وتعالى).

فكانت هذه التجربة...الأولى التي أراد الله (سبحانه وتعالى) أن يجريها أمام آدم لتكون عبرة له ولبنيه من بعده... ليتعلم آدم وبنوه من هذه التجربة.. أن طاعة الله واجبة فى كل حال وأن معصيته لا مكان لها على أى حال.

ولكن رحمة الله (سبحانه وتعالى) الواسعة بآدم وبنيه... جعلت الله (سبحانه وتعالى) يجرى لهم مثل هذه التجربة مرارا.

فأرسل لهم الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين... من نوح إلى سيد الخلق أجمعين خاتم الأنبياء.. «محمد».. عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فجعل فى مسيرة هؤلاء الأنبياء والمرسلين العبرة والأسوة وأجرى عليهم من الاختبارات والابتلاءات ما يبصر البشر بآيات الله ومعجزاته (سبحانه وتعالى) وما يظهر مع دعوة الرسل من مؤمنين بهم... وآخرين مكذابين جاحدين مما أوتى هؤلاء الأنبياء والرسل من لدن ربهم «سبحانه وتعالى».



## دراسة مقارنة عن أثر «حالة القلب على مصير صاحبه»

النبي ﷺ حينما يتصرف ببشريته إنما لكي تتعلم من ذلك أمته ﷺ.. وهذا ما حدث في مواضع كثيرة حينما يعاتب فيها الله (سبحانه وتعالى) رسوله الكريم ﷺ.. في تصرف تصرفه وقد أراد له الله (سبحانه وتعالى) ذلك.. لتتعلم نحن العبر والعظات البالغات والأمثلة على ذلك عديدة منها:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَعَفْوِ رَحِيمِهِ ﴿١﴾﴾

[التحرير - ١].

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾﴾

[عبس ١ - ٢].

وفي موقعة من مواقع الحرب حين يختار النبي موضعا وراه صحابي جليل أنه ليس الموضع المناسب بعدما علم الصحابي أن النبي اختاره دونما وحى من الله (سبحانه وتعالى).. فأشار عليه هذا لصحابي بالموضع الأفضل.. من ناحية الحرب والمكيدة.. ونزل رسول الله ﷺ عن رأيه ليتبع الرأي الأفضل..

وهذا إنما ليعطى لأمته ﷺ ولقاداتها الدرس الدائم بالمشورة.. وإتاحة الفرصة للرأى الآخر.. حتى تصل الأمة إلى أفضل القرارات لتظل دوما في سيادة ومنعة.

وهكذا فإن الأمثلة عديدة والتي تشير إلى أن الله (سبحانه وتعالى) حينما يوجه النبي ﷺ ليتصرف ببشريته فإنه قد يخطئ وقد يصيب وفى الحالتين فإن الأمر كله من الله (سبحانه وتعالى) لكى تتعلم الأمة من بعده العبر والعظات الناجحات لخير دينها ودنياها.

ومن الأمثلة المبهرة.. التى يلحظها الباحث المدقق.. والتى يتضح فيها الفرق بين «علم الحساب» وبين أسرار «علم الفطرة»... هذا المثال من السيرة النبوية العطرة حينما دعا رسول الله ﷺ أن يعز الله الإسلام بأحد العمرين.

والعمران هما.. أحدهما «عمرو بن هشام».. الملقب فى الجاهلية «بأبى الحكم».. لرجاحة عقله فى قومه... والآخر هو «عمر بن الخطاب» الذى كان مهاباً جباراً فى الجاهلية.

فماذا حدث وماذا كانت نتيجة هذا الدعاء النبوى؟

وفى هذا المثال... والذى دعا فيه رسول الله ﷺ.. أن يعز الله (سبحانه وتعالى) الإسلام بأحد العمرين.. فإن رسول الله ﷺ.. «ببشريته».. لم ير ﷺ.. فرقاً واضحاً بين العمرين ولذلك دعا بأيهما..

فكلا العمرين.. له من صفات القوة والمنعة والعقل والتأثير فى مجتمعه.. ما يؤهله أن يعزز شوكة الإسلام ويقويها ويدفع عن حوزة الدين ما يعوقه من تحقيق مراده من الانتشار.. بعناء وجهد أقل.. فالرسول الكريم ببشريته ﷺ لم يجد فرقاً ظاهراً بين العمرين.

فأين كان الفرق بين العمرين..؟

إن الباحث المتدبر.. يصل إلى أن الفرق إنما كان فى القلب...

كيف هذا..؟

نعم.. لابد أن يكون.. «القلب» .. هو الفيصل بين هذين العمرين.  
 فأحد العمرين.. وهو «عمرو بن هشام».. وكان لقبه أبا الحكم.. «في  
 الجاهلية».. إشارة إلى حكمته ورجاحة عقله وثقل مشورته بين قومه..  
 ها هو ذا.. أبو الحكم «عمرو بن هشام».. حينما ذهب بعقله الراجح  
 ليستكشف من قلبه شيئاً.. فإن هذا القلب كان قلباً «غير سليم»..  
 «غرفة مظلمة»..

فكان «علم الحساب».. هو الظاهر.. لهذا العقل الحكيم بمقياس  
 علم الحساب...

أما «علم الفطرة».. وهو الباطن.. في داخل هذا القلب.. فكان محجوباً  
 بظلمته فلم يستطع الداخل أن يرى منه شيئاً.

فالداخل هنا هو ذا هذا العقل الراجح حسابياً.. فلم ير هذا العقل  
 من هذا القلب إلا.. علم الحساب.. الذي رد على هذا العقل بحساباته  
 وتحديداته قائلاً:

﴿ إِذْ أَمَرْنَا كُتُبًا وَعِظْمًا إِهْتَابُوا لَتَبْعُنَّوْنَ ﴿١٦﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا أَلَاؤُنَّ ﴿١٧﴾ ﴾

[الصافات ١٦ - ١٧]

فوقف هذا العقل الراجح في مشورته الدنيوية.. التي تبني فكرها على  
 «علم الحساب».. عند هذا الحد من العلم.. «علم السطح».. ولم يتحرك  
 خطوة واحدة في داخل تلك الغرفة المظلمة.. وكيف يتحرك؟..  
 و«الظلمة حالكة»..

وظل هذا العقل.. على كفره وعناده.. فلم تنفعه رجاحته وذكاؤه.. فإن  
 ظلمة قلبه.. أحالت هذه الرجاحة وهذا الذكاء.. إلى بلادة وإلى هباء..

فظلمة هذا القلب.. قد هوت بصاحبه.. وحولت تلك الظلمة الحالكة  
«أبا الحكم».. حيث كان ساميا مرتفعا.. إلى «أبي جهل».. حيث أصبح  
هاويا منحدرًا.

أما.. «عمر بن الخطاب».. فكان ممن يحملون.. دون أن يدري هو..  
هذا القلب «السليم».. البالغ من السلامة هذا المبلغ العظيم.. وعندئذ..  
وحينما تجول هذا العقل.. عقل عمر.. حيث سار متجها إلى قلبه..  
ماذا حدث..؟

وصل هذا «العقل».. إلى هذا «القلب».. فكما رأى ما حوله وما على  
سطحه.. من «علم الحساب».. فما أن وقف عند حد هذه الغرفة المضيئة..  
فلم يجد هذا العقل نفسه إلا وقد دخل فيها.. لنورها وصفائها.. فما كان  
منه أن رأى كل شيء في جنباتها..

فرأى من آيات الله (سبحانه وتعالى) البيّنات.. وكانت دهشة هذا  
العقل فقط.. كيف أنه كان غافلا طوال هذا الوقت.. وكيف كان تائها  
فلم يصل إلى هذا النور من قبل.. أين كان عقله هذا..؟

وكل هذه الآيات تدل على أنه الله (سبحانه وتعالى) «الإله الواحد..  
الخالق لهذا الكون..

وعلى الفور.. أسلم «عمر الفاروق».. «صاحب القلب السليم».. فضياء  
«قلبه».. لم يحجب شيئا عن «عقله».. فتخلص.. «الفاروق».. بهذا  
القلب السليم... من حال الكفر والعصيان.. وخرج مسرعًا.. إلى طريق  
الهداية والإيمان..

وحول هذا الضياء.. «عمر».. من مجرد جبار.. يخشى بأسه وصرعته  
في الجاهلية.... إلى «فاروق».... يحتذى بعدله واستقامته.. دوما..  
في أرجاء البرية.

## الخلاصة

مما سبقت الإشارة إليه يمكن للباحث أن يخلص إلى النتائج التالية:  
«الصراع بين الخير والشر» إنما هو:

□ صراعٌ بين أفق محدود.. قد تحدد بتحديدات «علم الحساب»..  
وأفق لم يتحدد بتلك التحديدات... ولكنه تعداها حينما تعلق  
بآفاق أرحب وأوسع... أظهرتها له... ودلت عليها... أنوار ونفحات  
«علم الفطرة».

□ صراعٌ بين عقل لم يصل في بحثه... واستكشافه.. إلا إلى النتائج  
المحددة بقوانين «علم الحساب»...

وعقل قد وصل في بحثه.. واستكشافه.. إلى نتائج أوسع وأشمل..  
لوصوله إلى قوانين أرفع وأعلى.. لا تعرف حدودا.. ولا تعرف تحديدا..  
فقد انطلقت تلك القوانين.. بغير حدود.. وقد استمدت انطلاقها من  
أسرار وعجائب «علم الفطرة».

هذا الصراع يحدث ويظهر.. حينما تتعارض هذه «الحسابات» مع «تلك»..  
حينئذ يظهر فريقان.. فريق له حسابات.. وآخر له حسابات أخرى.. في  
هذه المنطقة. التي اختلفت فيها حسابات «الفريقين».. ينشأ الصراع..

حيث يشرع كل فريق في الدفاع عن حساباته.. التي توصل إليها  
ويعتقد في صلاحيتها بالنسبة له والتي تخدم توجهه على هذه الأرض.  
فالباحث المتدبر يستطيع أن يخلص إلى لب قضية الصراع بين الخير  
والشر في عبارة موجزة:

إن هذا الصراع ينشأ حين التعارض «بين قليبين»:

«قلب سليم يريد الحق والعدل.. وقلب مريض يريد الهوى والميل».